

عنوان المداخلة

"جهود العلماء السابقين والمحدثين في قضية الإعجاز

العلمي للقرآن الكريم"

الدكتور: عصام خروبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

جهود العلماء السابقين والمحدثين في قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

Efforts of former scholars in the issue of scientific miracles of the Holy Quran

ملخص

كثرت في الآونة الأخيرة دراسات حول إعجاز القرآن الكريم، ومن بين هذه الجهود والدراسات ما يتعلق بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وذكرها وجوها علمية كثيرة متعلقة بالإعجاز فما هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وماهي جهود الباحثين في الوجوه العلمية لإعجاز القرآن وماهي مؤلفاتهم؟ وتأتي دراستي هذه للحديث عن جهود العلماء في قضية الإعجاز العلمي مع مراعاة أهم الضوابط التي يسير عليها وخاصة إذا كان الأمر متعلقاً بأصول الشريعة الأساسية، وبالأخص الإعجاز الذي نحن بصدد دراسته.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن الكريم، الإعجاز العلمي، أصول الشريعة.

Abstract

Recently, there have been many studies on the miracles of the Noble Quran, and among these efforts and studies is what is related to the issue of scientific miracles in the Holy Quran and they mentioned many scientific aspects related to the miracles, so what is the scientific miracles of the Holy Quran, what are the efforts of researchers in the scientific aspects of the miracles of the Quran, and what are their books? My study comes to talk about the efforts of scholars in the issue of scientific miracles, taking into account the most important controls that follow, especially if the matter is related to the fundamentals of the Sharia law, Especially the miracles that are being tested in the process of being studied.

Key Words: Miracles of the Noble Quran, Scientific Miracles, The origins of Sharia.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد:

فقد جرت سنة الله في خلقه أن بعث لكل أمة رسولا منهم حتى بلغت هاته الأمة قمّة رشدّها فأرسل إليها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل معه القرآن الكريم خاتم الكتب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وكان هذا القرآن هو المعجزة الخالدة التي تحدى بها الإنس والجن. ولا أدل على آيات التحدي التي تحدى الله عزوجل بها العرب على أن يأتوا بمثله لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء 88.

وقد تناول العلماء ظاهرة الإعجاز القرآني بكل جوانبه واتفقوا على هذا الإعجاز، ولكنهم اختلفوا في وجوه الإعجاز فتنوعت أساليب العناية وأشكالها حين تناول المهتمون بإبراز وجوه الإعجاز المختلفة. تقول عائشة عبد الرحمان بنت الشاطيء: "ومن إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين والعلماء جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدا رحب المدى سخّي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمع، عال يفوق طاقة الدارسين" ¹.

"ومعجزة القرآن تختلف عن معجزة الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وللقرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوه إعجاز أخرى أو جديدة تزيد في معنى الإعجاز أو تعطي أبعاد جديدة لما يقال" ².

¹ - عائشة محمد علي عبد الرحمان (ت: 1419هـ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف - القاهرة - الطبعة 07، الصفحة 17.

² - أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية - ليبيا - 2003، الصفحة 83.

مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

إن ابتداء تنبه المسلم إلى وجه إعجازي قد لا يتأتى من القرآن مباشرة، بل ينبع ويزرع بريقه من أسرار هذا الكون سواء ما كان بالفكر العقلي المجرد أو بواسطة ما يتوصل به إلى غموض هذه الأسرار من وسائل، وهذا ما قرره الشيخ الشعراوي في قوله: " فإذا انتقلنا إلى الاختراعات الحديثة نجد أنها اكتشاف لقوانين الكون"³.

ونجد في القرآن الكريم ما يزيد عن ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون ومفرداته من: السموات والأرض، الشمس والقمر، الكواكب والنجوم، الجبال والبحار والأنهار، المطر والرعد والبرق... إلى آخره. وقد ذكرت هذه الآيات تلك المفردات في سياق لفت الأنظار إلى مظاهر قدرة الله عزوجل في الخلق واستدلالاته على تفرد سببانه بالربوبية والألوهية وقياسا عليها أحقية البعث الذي أنكره الكفار، كما جاءت في أسلوب وعبرة تفتح أمام العقل البشري آفاقا واسعة للتفكير في هذا الكون.

وإعجاز القرآن العلمي، ضرب عظيم من الإعجاز، فلما تعرض القرآن إلى بعض دلائل الأكوان وخصائصها فيما تعرض إليه، جاء به محكما بعبارة تصلح لحكاية حالته على ما هو عليه في نفس الأمر. وربما كان إدراك كنه حالته في نفس الأمر مجهولا لأقوام، فيعدون تلك الآية الدالة عليه من المتشابه، فإذا جاء قوم بعدهم فأدركوا المراد منها، علموا أن ما عدّه الذين قبلهم متشابها ما هو إلا محكم.

ومن مقاصد القرآن الكريم أمرين: أولهما كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين. وثانيهما تعويد حملة هذه الشريعة وعلماء الأمة بالتنقيب والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كل زمان لمشاركة المشرّع في مراده من التشريع، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين قائمة مقام تجدد الكتب والتأليف في اختلاف أنظمة التعليم.⁴

³ -محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة 01 (1398هـ) - 1978م)، الجزء 02، الصفحة 287.

⁴ -محمد السيد جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد، الجزء 01، الصفحة 59.

ويفرّق الشيخ محمد الغزالي بين إعجاز القرآن ودلائل النبوة، فيرى أن الإعجاز هو أمر خارق للعادة يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله في كل العصور، أما ما كان معجزاً لعالم الأمس دون عالم اليوم فهو من دلائل النبوة. وقد نزل القرآن الكريم على نبي أمي لا يمكن معه أن يتصور عاقل أن القرآن من صنعه، فلا يمكن أن يأتي بهذا القرآن نبي، كما لا يمكن أن يأتي به غيره مهما علا كعبه في الفهم والعلم واللغة، بل لا يمكن أن يأتي بع العلماء حتى لو اجتمعوا وتعاونوا وانهمكوا وعانوا. قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء 88.

ضوابط إعجاز القرآن الكريم:

وللإعجاز وجوه كثيرة لا حصر لها ولا نهاية، وسأذكر بعض الكتب التي تناولت ذكر الضوابط وهي:

'إعجاز القرآن الكريم' لفضل عباس، وسناء عباس.

'من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم' لحسن أبو العينين.

'من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم' لزغلول النجار.

'مباحث في إعجاز القرآن' لمصطفى مسلم.

'تأصيل الإعجاز العلمي' لعبد المجيد الزنداني.

'المنظار الهندسي للقرآن الكريم' لخالد فائق العبيدي.

'الإشارات العلمية في القرآن' لكارم السيد غنيم.

'الكون والإعجاز العلمي في القرآن' لمنصور حسب النبي.

'الإعجاز العلمي في القرآن والسنة' "تاريخه وضوابطه" لعبد الله ابن عبد العزيز المصلح.

'كيف نتعامل مع القرآن الكريم' ليوسف القرضاوي.

'رحيق العلم والإيمان' لأحمد فؤاد باشا⁵.

أما ضوابط الإعجاز فيمكن إيجازها في هذه النقاط:

- 1- كون القرآن عربي التركيب، عربي المعاني والبيان فيجب أن يكون القول بالإعجاز ليسفيه تعسف.
- 2- كونه حقا فلا يجوز أن نستند على موضوع الإعجاز غلا على حديث صحيح.
- 3- النظر في سياق الآية فلا يجوز أن نقطع الآية الكريمة عما سبقها أو عما يأتي بعدها.
- 4- معرفة الحدود التي يجب أن يقف عندها العقل الإنساني ولا يحاول إنسان أن يفهم النص بما لا يعلمه⁶.

عناية المسلمين بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

إن العناية بإعجاز القرآن لم تتوقف على الجهود الفردية المكتوبة فقط، ولكن بعض الجهات تولي هذه الموضوعات جهودا تبذل على المستوى الجماعي الدولي. ولن نخرق علما لأحد بتجهيله أمر وسائل الإعلام على اختلاف أنماط إعلامها بما تقوم به من نشر ما عنّ للقائمين على البرامج العلمية الدينية من إعجاز القرآن أو السنة أو هما معا.

وهناك جهة ذات قدر عظيم وخطر جليل وهي رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة شرفها الله تعالى، هذه الجهة تضم ضمن هيئاتها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. وإسهامات هذه الهيئة كما جاء في غلاف كتاب 'الصيام معجزة علمية' للدكتور عبد الجواد الصاوي تهدف إلى:

- وضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في بيان الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.

- إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

⁵ - صالح بن أحمد رضا، تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الجزء 01، الصفحة 43.

⁶ - المرجع نفسه، الصفحة 44- 47.

-صبغ العلوم الكونية بالصِّبغ الإيمانية وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج تعليمية في شتى مؤسساته ومراحله⁷.

بعض مؤلفات الباحثين في الوجوه العلمية لإعجاز القرآن الكريم:

- 1- 'معجزة القرآن الكريم' 4 أجزاء الشيخ محمد متولي الشعراوي.
- 2- 'أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية' دكتور موريس بوكاي.
- 3- 'خلق الإنسان بين الطب والقرآن' دكتور محمد علي البار.
- 4- 'الصيام معجزة علمية' دكتور عبد الجواد الصاوي.
- 5- 'الظاهرة القرآنية' مالك بن نبي.
- 6- 'المعجزة' النظرية الأولى، 'القدر' النظرية الثانية جزآن مهندس عدنان الرفاعي.
- 7- 'معجزة القرآن الكريم' دكتور رشاد خليفة.
- 8- 'الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء والأرض' جزآن أد/ حسن أبو العينين.
- 9- 'معجزة القرآن' نعمت صدقي.
- 10- 'الإعجاز العلمي في القرآن الكريم' محمد سامي محمد علي.
- 11- 'الإعجاز العلمي في القرآن الكريم' د/السيد الجميلي.
- 12- 'الإعجاز الطبي في القرآن الكريم' د/السيد الجميلي.
- 13- 'إعجاز القرآن في خلق الإنسان' د/محمد كمال عبد العزيز.
- 14- 'قصة الخلق من العرش إلى الفرش' عيد ورداني.

⁷-حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الجزء 01، الصفحة 95.

- 15- 'الكعبة مركز العالم' د/سعد محمد محمد الشيخ المرصفي .
- 16- 'هندسة النظام البيئي في القرآن الكريم' د/عبد العليم عبد الرحمن خضر.
- 17- 'معالم القرآن في عوالم الأكوان' الشيخ أحمد محيي الدين العجوز.
- 18- 'تناقض علم الفلك مع القرآن الكريم وتوافق نظرية الكون الأرضي معه' مصطفى أحمد عبد القادر.
- 19- 'الإعجاز العددي للقرآن الكريم' د/عبد الرزاق نوفل.
- 20- 'تفسير الجواهر للجوهري' للشيخ الطنطاوي الجوهري.
- 21- 'تفسير المراغي' للشيخ أحمد مصطفى المراغي.
- 22- 'موسوعة الأعداد في القرآن الكريم' مهدي سعيد رزق كريمة.
- 23- 'ظواهر كونية في القرآن الكريم' محمد فيض الله الحامدي.
- 24- 'رسائل' في "أحدث تفسيرات آيات القرآن الكريم" عبد الغنى محمد.
- 25- 'الكعبة المشرفة سرّة الأرض ووسط الدنيا' دكتور أحمد السيد دراج.
- 26- 'إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض' محمد محمود إبراهيم⁸.

هذه مجموعة من المؤلفات التي يسر الله لي الاطلاع عليها حيث تناول أصحابها من العلوم الحديثة ما قبل التوافق مع إشارات القرآن الكريم ولو بالتأويل البعيد.

وقد سبق القول بأن هناك اختلافا بين خصائص القرآن الكريم وإعجازه وإن كان الأمران برهانين على أن القرآن كلام الله تعالى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ومن عجيب أمر هذا الكتاب نزوله منجما حسب أحداث سني نزوله، ويأتي ترتيبه على غير ترتيب النزول، ومع هذا لم يكن أوله نزولا بأقل في البلاغة والبيان من آخره، لذا تجد نظمه من فاتحته إلى خاتمته غاية ولروعة في الجمال، وهذا لا يتأتى مثله لأحد، ولا يبلغ مداه مهما فصح لسانه وبلغ بيانه متكلم، كما أنه كتاب هداية يعالج في عرضه كل ما يعرض للنفس وما يعتريها.

⁸ - محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الجزء 01، الصفحة 88-89.

الخاتمة

هذا ما وفقني الله تعالى إليه للحديث عن موضوع 'جهود العلماء السابقين والمحدثين في قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم' عاجلت فيه بقدر ما يقتضيه المقام، ويتسع له المجال مايلي:

1- بيان الحكمة من تأييد الله تعالى رسله بالمعجزات، وأنه إذا كانت معجزات الأنبياء حسية فقد كانت المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم عقلية وهي القرآن الكريم، إضافة إلى ما أعطاه الله تعالى من معجزات حسية وذلك لكون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عالمية وخاتمة الرسالات.

2- التعريف بمفهوم 'إعجاز القرآن الكريم' بما يحدد المراد به ويوضح غايته، وأن المراد به هو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله.

3- تبيان أهمية علم الإعجاز والضرورة الداعية إلى بحثه بأن القرآن الكريم جاء هدى للناس، وأن الاهتداء به فرع من فهم معانيه، وأنه نزل بلسان عربي مبين، وأن القيام على تفسيره لا بد له من معرفة تامة بالعربية وخصائصها ودلالات ألفاظها وأوجه بلاغتها وذلك من علم الإعجاز.

4- إعتناء المسلمين بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم وهذا ما ورد في أبحاثهم ومؤلفاتهم ومؤتمراتهم العلمية.

أسأل الله الكريم سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله بمنه وكرمه وإحسانه وأن يجعله لبنة نافعة في صرح الخدمة لهذا الكتاب الكريم الذي هو مهجتنا وروحنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 1987م)، الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 02.

أحمد جمال العمري (ت: 1984)، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف-مصر

أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية -ليبيا- 2003، الصفحة 83.
بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 1408هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت -
الطبعة 01.

الحافظ جلال الدين السيوطي (ت: 1407هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: د.مصطفى ديب البغا،
دار ابن كثير -بيروت- الطبعة 01.

الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: 1403هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة -بيروت.

حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
الشريف، الجزء 01، الصفحة 95.
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون -تونس.

صالح بن أحمد رضا، تجرّتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة، الجزء 01، الصفحة 43.

عائشة محمد علي عبد الرحمان (ت: 1419هـ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف -القاهرة-
الطبعة 07، الصفحة 17. محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة
والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة 01 (1398هـ - 1978م)، الجزء 02، الصفحة 287.
عبد القاهر الجرجاني (ت: 1992م)، دلائل الإعجاز، دار المدني جدة، الطبعة 03.

القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: 1408هـ)، إعجاز القرآن، دار إحياء العلوم -بيروت- الطبعة 01.

محمد السيد جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد، الجزء 01، الصفحة 59.

محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الجزء 01، الصفحة 88-89. محمد الغزالي، نظرات في القرآن، دار الكتب الحديثة، الطبعة 03.

محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1408هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر - بيروت.

مصطفى صادق الرافعي (ت: 1928م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، الطبعة 03.

